المدرسة الشماعية

وأثرها الثقافي والفكر الديني في العهد الحفصي

(٦٤٣- ٩٨١هـ/ ١٢٤٥- ١٥٧٣م)

Shamia School

and its Cultural Impact and Religious Thought in the Hafsid Era

(643-981 AH / 1245-1573 AD)

م. م. أحمد عبد الرحمن جاسم

Asst. Lect. Ahmed Abdul Rahman Jassim

وزارة التربية – المديرية العامة لتربية صلاح الدين

Ministry of Education - Directorate General of Salahuddin Education

E-mail: ahmahmad5870@gmail.com

الكلمات المفتاحية: المدرسة الشماعية، تونس، الحفصيين، جامع الزيتونة، أفريقية

Keywords: Al-Shamaya School, Tunisia, Hafsids, Al-Zaytuna Mosque, Ifriqiya.

الملخص

تعد المدرســة الشــماعية في تونس أولى المدارس التي بنيت هناك وذلك في منتصــف القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد، وقد قدمت خلال مدة تزيد على الثلاثة قرون وهي مدة حكم الحفصـيين، إسـهاماً واضـحاً في الحركة العلمية من خلال ما تخرج منها على مدى تاريخها الطويل من علماء كان لهم مكانتهم البارزة في المجال العلمي، وكان بناء المدرســة بداية لمرحلة جديدة من النظام التعليمي في المغرب الإسـلامي تمثل في الخروج عن الحقل التقليدي الذي كان ســائداً قبل هذه المدة والمتمثل في اقتصــار الحركة العلمية والتعليمية في أفريقية على المســاجد والجوامع، وبهذا كان للمدرسة دوراً في دعم الحركة الفكرية في عموم المغرب الإسلامي

Abstract

The Shamaa School in Tunisia is the first school to be built there, in the middle of the seventh century A.H. / thirteenth century AD. During a period of more than three centuries, which is the period of the rule of the Hafsids, it made a clear contribution to the scientific movement through what it graduated from throughout its long history of scholars. They had a prominent position in the scientific field. The building of the school was the beginning of a new phase of the educational system in the Islamic Maghreb, which represented a departure from the traditional field that prevailed before this period, represented in the confining of the scientific and educational movement in Africa to mosques. Thus, the school had a role in supporting The intellectual movement throughout the Islamic Maghreb.

المقدمة

شهدت مدينة تونس إنشاء أول مدرسة علمية في المغرب الإسلامي، فكان يعتمد مجتمع المغرب الإسـلامي، فيما سـبق، على المسـاجد والجوامع بشـكل خاص في الحركة الفكرية، وكان لنشـأة المدارس أثراً في تنامي الحركة العلمية في عموم المغرب الإسـلامي، وأسـهمت بعد انتشـار المدارس في المدن الرئيسـة في نشـر العلوم الشـرعية، فظهر علماء أفذاذ في مجالات المعرفة المختلفة.

ومن بين أولى المدارس التي نشـأت هناك كانت المدرسـة الشـماعية في تونس، فقدمت دوراً كبيراً في تنامي الحركة العلمية في أفريقية، ثم ما لبثت أن استقطبت علماء أجلاء من عموم المغرب، كما قدمت إسـهاماً فاعلاً من خلال ما تخرج منها من علماء كانت لهم مكانة مرموقة في المجال العلمي الإسلامي بشكل عام.

وساهم العلماء الذين تخرجوا من الشماعية في نشر تلك العلوم بعد عودتهم إلى بلدانهم، ومنهم من أخذ يتبوأ منصباً إدارياً، ومنهم من انخرط في سلك التعليم فأنشئوا المدارس والمؤسسات العلمية التي أسهمت هي الأخرى بدورها في تطوير الحركة الفكرية في عموم المغرب الإسلامي.

ولكي نبرز دور هذه المدرسـة خلال المدة التي اسـتغرقتها الدولة الحفصـية في حكمها لأفريقية (٦٢٧- ٩٨١هـ/ ١٢٢٩- ١٥٧٣م) اخترنا موضـوعاً لبحثاً تحت عنوان ((المدرسـة الشماعية وأثرها الثقافي والفكر الديني في العهد الحفصي (٦٤٣- ٩٨١هـ/ ١٢٤٥- ١٥٧٣م)) ليكون ميداناً لدراستنا حول مكانة هذه المؤسسة العلمية المرموقة.

وقد قسمت الدراسة إلى تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول ((تأسـيس المدرسـة وعمارتها)) تناول فيه تأسـيس المدرسـة وموقعها وملامحها العمارية، إلى جانب دراسـة أوقاف المدرسـة وأهم مصـروفاتها فيما يتعلق بالطلبة والشـيوخ والموظفين.

المبحث الثاني ((مشيخة المدرسة ومدرسيها)) وفيه تم استعراض أسماء أهم الشيوخ والمدرسين الذين درَّسوا فيها على مدى أكثر من ثلاثة قرون.

المبحث الثالث ((نظام التعليم في المدرسـة الشـماعية)) تناول طبيعة نظام التعليم في المدرسـة ومناهج التعليم وأوقات الدروس.

المبحث الرابع ((النظام الإداري للمدرسة)) تناول دراسة الجانب الإداري فيها من حيث الموظفين وطبيعة عملهم داخل المدرسة والمهام المكلفين بها.

تمهيد:

أُشْتقتْ لفظة المدرسة من الفعل درس الكتاب، يدرس درساً ودراسة، والمَدْرَس أو المدارس وهو الموضع الذي يُدْرَس فيه، والدارسون هم الطلبة، فالمدرسة من حيث المدلول اللغوي هي المكان الذي يتم فيه التدريس(١).

أما مدلولها معماريا فهي مؤسسة تضم بيتاً للصلاة والدراسة في آن واحد حيث تعرف باسم (القبة) وتحتوي صحناً مكشوفاً، وسكنى للطلبة تتألف من طابق أو طابقين بهما غرف أو حجرات صغيرة، وهي مزودة بمرافق ضرورية كالمكتبة والحمام والمطعم(٢)، ويعد هذا النظام المعماري هو النظام السائد في مدارس المشرق ومصر وحتى بلاد المغرب الإسلامي(٣).ويرى أحمد فكري أن المدارس اتخذت اسمها وتعريفها من البيوت المخصصة فيها لسكن الشيوخ والفقهاء والطلبة، لا من قاعات التدريس والمدرسين(٤).

أما اصطلاحاً فهي مؤسسة تعليمية تربوية لتدريس العلوم الشرعية بصفة خاصة كالفقه وأصوله والقراءات وعلم الحديث والعلوم الانسانية والآداب، فضلاً عن علم الكلام والمنطق والحساب وغيرها من العلوم الأخرى(٥).

المبحث الأول: تأسيس المدرسة وعمارتها

أولاً- تاريخ تأسيس المدرسة:

ازدهرت تونس في عهد الدولة الحفصية(٦) ازدهاراً كبيراً، وانتشرت فيها العديد من المنشآت التي أسسها السلطان الحفصي أبو زكريا(٧)، وتعد مدرسته من أهم آثاره العمرانية الجديدة والجميلة عرفت بالمدرسة الشماعية(٨)، وقد انقسمت المدارس في تونس إلى قسمين: مدارس ذات طابع رسمي يعود تأسيسها إلى الطبقة الحاكمة من السلاطين الحفصيين، وأخرى خاصة أو حرة ربما بنيت من قبل قواد الجيش أو كبار الأعيان وبعضها بنيت على يد متصوفة تونس آنذاك، وارتبطت حركة بناء المدارس بطبيعة الأوضاع السياسية والاقتصادية التي مرت بتونس(٩).

وتعرف هذه المدرسة بأم المدارس تعظيماً لشأنها في العصر الحفصي(١٠)، لم تذكر المصادر التاريخية بالتحديد سنة بناء المدرسة لكن يرى أحد الباحثين أن تاريخ تأسيسها ربما يعود إلى سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م)(١١)، وذهب باحث آخر إلى أن بناء المدرسة كان بعد سنة (٦٣٩هـ/ ١٢٤١هـ)(١٢)، في حين أكد برونشفيك أنها أُسست ما بين سنتي(٦٣٤ -٦٤٧هـ/ ١٢٣٦-١٢٤٩م) وهي فترة السلم التي سادت البلاد(١٣).

تعد المدرسة الشماعية من أقدم المدارس التي تأسست في بلاد أفريقية(١٤)، إذ لم يرد ذكر لمدرسة بنيت بتاريخ أقدم بمدينة تونس(١٥)، ولعل غاية أبو زكريا الحفصي من إنشائه المدرسة، أن تكون معهداً لفئة من الطلاب يتلقون أصول المذهب الموحدي على أساتذة

مناهضـــين للمالكية، حتى يتمكنوا من نشـــر المذهب الموحدي بين العامة التي ظلت متشـــبثة بالمذهب المالكي(١٦)، إلا أن الأمير أبو زكريا ومن معه لم ينجح في ذلك، ويفسر برونشفيك هذا الفشـــل نتيجة للمقاومة التي وجدوها من قبل رجال الدين المالكية الذين حافظوا على قوتهم بأفريقية(١٧)، غير أن تاريخ تأسـيس المدرسـة يخالف تماماً ذلك التفسـير، ففي تلك المرحلة بدأ الأمير أبو زكريا بالخروج من دائرة التبعية والتأثير الموحدي الذي انحسر بشكل كبير ومعه بدأت بوادر التراجع والانحسار السياسي للموحدين في أفريقية(١٨).

لذا يرى ابن مامي أن الحفصـــيين لاحظوا أن بنائهم للمدارس لن يكون إلا لصـــالح المالكية، ولن يأتي بأية فائدة لمذهبهم ولن يعينهم على تركيز حكمهم، وهكذا وجدوا أنفســـهم مجبرين على التعامل مع فقهاء المالكية نظراً لاتباع جلّ العامة لهذا المذهب(١٩).

ومن جانب آخر لم تقتصـر الغاية من إنشـاء الحفصـيين للمدارس على الجانب المذهبي فقط، فكان أبو زكريا يرمي من وراء تأسـيسـه للمدرسـة إلى تكوين موظفين أكفاء وحاشـية مخلصـين وأمناء لخدمته وخدمة دولته(٢٠).

ثانياً- التسمية والموقع:

سمّيت المدرسـة بالشـماعية لوقوعها في سـوق الشـماعين الذي كان يصـنع به شـمع من شـهد العسـل لكي يسـتضـاء به في المعالم الدينية المجاورة من جوامع ومسـاجد لخلوّه من بعض المواد التي قد تكون محرّمة، وبذلك فهي تقع بالقرب من بعض المعالم التاريخية الشـــهيرة بمدينة تونس مثل جامع الزيتونة(٢١)وسوق العطارين(٢٢)، وغيرها من المعالم الأخرى(٢٣).

ثالثاً- تخطيط المدرسة وعمارتها:

امتاز الجانب المعماري للمدرسة بصورة عامة بالبساطة، وهي سمة اتسمت بها العمارة الحفصـية في أفريقيا، فقد كان الأمير أبو زكريا موصـوفاً بالتقشـف والبسـاطة في معيشـته وعكس ذلك على مدرسته التي تكاد تخلو من الزخارف وإن جمالها من عناصر البناء نفسها، فقد جاءت هندسـتها المعمارية ببعض التصـاميم الفريدة من نوعها فهي تمثل الأنموذج الأمثل لطراز العمارة المغربية ذات التأثير الشرقي ويعود الفضل الاكبر للمعماريين المصريين في نقلها إلى تونس وهذا ما نلحظه في نمط البناء الذي اعتمد على الأروقة(٢٤) والإيوان(٢٥) الذي أحاط بحجرات الطلاب المشابه بتصميم المدارس المصرية، ولأهمية هذه المدرسة فقد خضعت لعدة إضافات عبر مراحل زمنية لاحقة كان لها دور كبير في بقاء واستمرار هذه المدرسة حتى وقتنا الحاضر(٢٦).

بنيت المدرسـة بطابقين، لكل طابق مسـجد خاص به وهي تقع على مسـاحة شـبه مربعة مقدارها (٣١٠م٢) إلا أن جدارها الشـرقي منحرف نتيجة لانحراف سـوق البلاغجية(٢٧) الملاصـق لها ويفصـلها عن السوق ممر مسقف بقبو، يتكون مدخل المدرسـة من درج بتسـع درجات يعطي

أهمية كبرى لمدخل المدرسة الذي زين بعقد، ثم يلي المدرج باب خشبي يمتاز بالبساطة أبعاده (١,٥ × ٢,٨٧م)، يحيط به إطار مضاعف من الخشب[٢٨].

يتوسط المدرسة صحن شبه مربع يصعد إليه عن طريق درجة واحدة، طوله أكثر من عمقه بقليل وتحيط به من جهاته الأربع أروقة تطل منها سلسلة من العقود التي عادة ما تطوق الصحن أو الفناء باستثناء الإيوانين اللذين يتوسطان الجدار الشرقي والجدار الغربي[٢٩].

يختلف تصميم الطابق العلوي للمدرسة عن الطابق السفلي، فأروقته لا تحيط بها أعمدة بل اسندت بدعامات[٣٠] ويحيط بها أعمدة حديدية محدبة ومصطفة يعلوها متكأ[٣١]، ويضم الطابق العلوي (١٩) غرفة، موزعة على جوانب المدرسة، استخدمت إحداها كمسجد علوي[٣٢].

وهكذا بنيت المدرسة ببساطتها وهي السمة التي ميزت العمارة الافريقية في عهد الحكم الحفصي[٣٣].

طرأ على المدرسة عدة تعميرات على مدى قرون عديدة من تاريخها الطويل، فقد تداعت أحوال المدرسة أواخر العصر الحفصي (٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) وآلت إلى حالة سيئة، وكان من أبرز تلك التعميرات التجديد الذي جرى سنة (١٠٥٧هـ/ ١٦٤٧م) على عهد الدولة المرادية (١٠٤٠هـ- ١١١٣هـ/ ١٦٣١- ١٧٠٢م)[٣٤].

رابعاً – مصادر تمويل المدرسة وأوقافها:

نظراً لانتشار المذهب المالكي بأفريقيا فإن مدارس تونس حبست خلال فترة حكم الدولة الحفصية على هذا المذهب فقط، وتواصلت سيطرته على المدارس حتى قدوم الأتراك العثمانيين[٣٥]، وكانت مصادر الأموال توفر لتلك المدارس التي انتشرت في بلاد المغرب من الأحباس والأوقاف، وكانت تخصص من أموال الأحباس مرتبات للطلبة وشيوخهم الذين يدرسون فيها، فضلاً عن أجور القائمين على المدرسة، وما تحتاجه من مستلزمات صيانة أبنيتها وترميمها[٣٦].

خصص الحفصيون للمدرسة الشماعية أوقافاً كثيرة محبسة عليها، فأوقفوا ضياعا وأملاكا وسوق ودكاكين وحوانيت كانت تدر دخلاً يأخذ منه الطلبة والمدرسين معاليمهم، يوفرون لهم المال والمكان والطعام والملبس والحبر والورق والكتاب[٣٧]، فضلاً عن توفير علف دابة الشيخ التي تمثل وسيلة النقل[٣٨].

المبحث الثاني: مشيخة المدرسة ومدرسيها

يعد الأساتذة أو المشيخة من الموظفين الأساسيين للمدرسة، ذوي كفاءات ومؤهلات علمية، متضلعين مبرزين في مواد مختلفة، متمكنين ومتقنين لعلومهم، دارسين لأمهات الكتب،

مع دقة في التدريس ونزاهة علمية، وقد ورد ذكر عدد من شيوخ المدرسة ومدرسيها في المصادر التاريخية، يمكن إيراد أسماء أشهرهم وهم:

١ – ابن زيتون (ت، ٦٩١هـ/١٢٩١م): أبو قاسم بن أبي بكر بن مسافر بن أبي بكر بن أحمد بن عبد الرفيع اليمني، تلقى في أول تكوينه العلمي ثقافة فقهية دينية تقليدية، غير أنه سرعان ما حذق علم المنطق، وقرأ كتب الفلاسفة والصوفية وغلبت على اهتمامه مباحث الحكمة، ثم ارتحل إلى المشرق فأخذ عن عدة مشايخ هناك واتقن تعليمهم، فبرع بالعقليات والنقليات، تولى مشيخة المدرسة بعد الشيخ ابن البراء[٣٩]، وظلّ عليها حتى وفاته سنة (٦٩١هـ/ ١٢٩١م)[٤٠].

٢ – أبو علي عمر بن قداح الهواري التونسي (ت، ٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م): من أجلّ المدرسين والفقهاء والمؤلفين المشهورين في عصره، درَّس بالشماعية، تخرّج على يديه ثلة من العلماء والأدباء، ولي القضاء والأنكحة سنة (٧٣٣هـ/ ١٣٣٣م) ولم تطل مدته فمات سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م)[٤١].

٣ – ابن البراء التنوخي (ت، ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م): أبو القاسم كان خليفة في الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة، أخذ عن جماعة منهم جده، كانت له عناية بالرواية والتاريخ، وضع عدة تصانيف مهمة، وكان من مدرسي الشماعية[٤٢].

٤ – محمد بن عبد السلام بن يوسف بن كثير الهواري (ت، ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م): أبو عبد الله المنستيري، فقيه مالكي، ولي قضاء الجماعة بتونس سنة (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م) واستمر إلى أن توفي بالطاعون الجارف، له عدة مصنفات منها: كتاب (شرح جامع الأمهات) لابن الحاجب في فقه المالكية، وديوان فتاوي[٤٣].

٥ – ابن مرزوق الجد (ت، ٧٧٣هـ/١٣٧١م): أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن مرزوق العجمي التلمساني، خدم الدولة المرينية، ووصل إلى أعلى المناصب، إلا أنه سجن عدة مرات، قدم تونس سنة (٧٦٥هـ/ ١٣٦٣م)، عُيّن خطيباً بجامع القصبة[٤٤]، ثم التدريس بالشماعية، أقام بتونس إلى وفاته[٤٥].

٦ – ابن عرفة (ت، ٨٠٣هـ/ ١٤٠٠م): هو محمد بن محمد بن عرفة بن حماد الورغمي ولد بتونس سنة (٧١٦هـ/ ١٣١٦م)، ونشأ في طلب العلم فاخذ عن علماء تونس فصار إماما في العلوم الشرعية والادبية والرياضية وهو حامل راية المذهب المالكي وفاتح باب الاجتهاد في الفقه في العصر الحفصي ، كان الناس يرحلون إليه للفتيا من الأندلس والمغرب والمشرق وكان لا يتولى أحد ولاية شرعية إلا بعد إشارته واختباره ،مسموع الكلمة ، لم يقبل الولاية الحكمية بل اقتصر على الإمامة بجامع الزيتونة وكان نظر خزانة الكتب بالجامع إليه ولما أراد الحج حاسب عنها من استخلفه في النظر فيها كانت الخزانة ستين الف مجلد[٤٦].

٧ – الغبريني (ت،٨١٣هـ/ ١٤١٠م) أبو مهدي عيســـى بن أحمد بن محمد بن محمد، قاض محدِّث حافظ من أكابر فقهاء المالكية، نشأ بتونس وأخذ عن ابن عرفة وغيره، وهو أكبر أصحابه وأجلَّهم، ولّي إلى جانب القضاء إمامة جامع الزيتونة، والتدريس بالشماعية[٤٧].

٨ – الآبي (ت، ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م): أبو عبد الله بن محمد بن خلفه، قرأ على ابن عرفه وغيره، كان عالماً محققاً، وُصِفَ بأنه عالم المغرب بالمعقول[٤٨].

٩ – البُرْزُلي المالكي (ت، ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م): أبو القاســـم بن أحمد بن محمد القيرواني، أحد مشـايخ المالكية في المغرب، سـكن تونس، وانتهت إليه الفتوى فيها، توفي بتونس عن عمر ناهز المائة سـنة، صـنَّف عدة كتب منها: كتاب (جامع مسـائل الأحكام مما نزل من القضـايا للمفتين والحكام)، وكتاب (الديوان الكبير) في الفقه.[٤٩]

١٠ – القســنطيني (ت، ٨٤٦هـ/ ١٤٤٢هـ): أبو الفضــل قاســم بن محمد بن محمد بن أحمد، قاض من فقهاء المالكية، ولد بتونس ونشـأ بها، أخذ عن أبي مهدي عيسـى الغبريني وغيره، ولي قضـاء الجماعة وإمامة جامع الزيتونة وخطابته والفتيا به، مات مقتولاً وهو بمحراب جامع الزيتونة عند سلامه من صلاة الصبح، وهو جالس على سجادته[٥٠].

١١ – القلشـــاني (ت، ٨٩٠هـ/ ١٤٨٥م) أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله الباجي، تقدم لخطبة جامع التوفيق[٥١] والفتيا به، ثم ولي التدريس بالمدرســة المنتصــرية[٥٢]، وتقدم إلى خطة قضـــاء الجماعة بتونس، ولما توفي خطيب جامع الزيتونة ومفتيه خيره السـلطان في البقاء على خطة القضـــاء أو الانتقال إلى الفتيا بجامع الزيتونة والخطبة فيه ســنة (٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م) وتقدم إلى خطتي[٥٣] جامع الزيتونة والتدريس بالمدرسة الشماعية، وبقى بمنصبه حتى وفاته[٥٤].

١٢ – محمد الرصاع (ت، ٨٩٤هـ/ ١٤٨٨م): أبو عبد الله محمد بن قاسم بن عبدالله الانصاري، قاض ونحوي وخطيب عارف بالحديث، من فقهاء المالكية، انتقل إلى تونس ســـنة (٨٣١هـ/ ١٤٢٧م)، ولي القضـــاء والجماعة بها، ثم اقتصـــر في أواخر أيامه على إقامة جامع الزيتونة والخطابة فيه، متصدراً للإفتاء والفقه وأصول الدين والمنطق والعربية[٥٥].

ومما يلحظ على شيوخ الشماعية أنهم مارسوا التدريس في عدة مدارس، والبعض منهم كان يجمع بين مهنة التدريس وخطابة الجوامع أو إمامتها، وهذه ظاهرة منتشـرة بين جميع المدرسـين الذين تولوا التدريس في عدة مدارس، وذلك حسـب مشـيئة صـاحب السـلطة[٥٦]، ومنهم على سـبيل المثال:

- أبو العباس القلشـــاني، ولي التدريس في المدرســـة المنتصـــرية إلى جانب التدريس بالشماعية[٥٧].

- القاضـــي أبو القاســـم ابن زيتون، فقد تولى التدريس في أكثر من مدرســـة، منها المدرســـة الفاضلية ومدرسة ابن شكر[٥٨].
- القاضي ابن عبدالسلام الهواري ولي التدريس في المدرسة العنقية[٥٩] بأمر من الأميرة فاطمة ابنة السـلطان أبي زكريا الحفصـي[٦٠]، وكان يقسـم أيام الأسـبوع بين المدرسـة الشـماعية والعنقية[٦١].
- الشـــيخ البرزلي الذي ولي التدريس في مدرســـة ابن تافراجين[٦٢]إلى جانب تدريســـه بالشماعية[٦٣].
- الشيخ محمد الزنديوي ولي التدريس في المدرسة المتنصرية[٦٤].

المبحث الثالث: نظام التعليم في المدرسة الشماعية

أولاً – الطلبة:

لم تصـل إلينا معلومات وافية عن عدد الطلاب في المدرسـة الشـماعية، لذا فإننا نجهل عدد طلابها لربما كان محدوداً لا يتجاوز عدداً معيناً، فقد كان القبول مفتوحاً لفئة من الطلاب يتلقون أصول المذهب الموحدي على أساتذة مناهضين للمالكية[٦٥]، ففي أكثر الأحيان يحدد عدد الطلاب الذين يســمح لهم بالإقامة فيها، وهو يكون في الغالب موافقاً لعدد غرفها، ومن الطبيعي جداً أنه عندما تكون لشـيخ المدرسـة شـهرة كبيرة يزداد عدد الطلبة القادمين من خارجها والبعض من الشيوخ يحضر حلقته عشرات الطلاب، وقد زارها الشيخ البلوي[٦٦] بعد رجوعه من الحج سنة (٧٣٩ هـ/ ١٣٣٨م) ونزل بها واجتمع بإخوانه من الطلبة والمدرسـين وسـر بوجودهم وعدم تفريق شملهم، والقى محاضراته العلمية عليهم[٦٧].

وهكذا لعبت المدرســـة دوراً هاماً في بث العلم بين الطبقات الفقيرة وفتحت لهم أبواب الوظائف الســامية توفير الســكن للغرباء منهم، وهو ما لم يكن يســتطيع المســجد الجامع القيام به[٦٨].

ثانيا – أوقات الدراسة:

كان لكل فن من فنون العلم وقتاً محدداً في الأســبوع لتدريســه، فالوعظ مثلاً كان يدرس يومي الاثنين والجمعة[٦٩]، أما تدريس القرآن الكريم وعلومه فكان يقرأ يومياً صـــبحاً ومغرباً[٧٠]، وكان المدرسون يتناوبون بإلقاء دروسهم صباحاً ومساءً، فمنهم من يلقيها في الصباح ومنهم من يلقيها في المساء[٧١].

وكانت الدراسة في المدرسة تستمر طيلة أيام الاسبوع، ومن الواضح أن للطلبة أياماً في الأسـبوع تمثل أيام عطلة وانقطاع عن الدراســة، فقد ذكر الآبي أن الفقيه أبا علي عمر بن قداح

الهواري كان عطلته يوم الاثنين والخميس والجمعة[٧٢]، وكان الشيخ أحمد الغرناطي يدرّس يومي الاثنين والجمعة[٧٣].

وبذلك كانت أوقات الدراسة تعود في الغالب إلى رغبة الشيخ فهو الذي يحدد أوقات محاضراته ودرسه[٧٤]، فالبعض كان يفضل التدريس يومين في الأسبوع ، والبعض الآخر يفضل الخميس أو الجمعة أو السبت، وأشار ابن عقاب أن الطلبة كانوا يغتنمون الفرصة أثناء أيام العطل لحضور دروس الشيوخ المشهورين، وحضر ابن عقاب ذات يوم عند أبي مهدي عيسى الغبريني، وكان مجلس الشيخ في ذلك اليوم عطلة، وجرت عادة الطلبة أن ينظروا أحسن المجالس، فيحضرونها[٧٥].

ثالثا – الاختبارات والإجازات العلمية:

ليس هناك امتحانات حقيقية ولكن يمكن لأي شيخ عالم ان يمنح تلميذه اجازة تسمح له بممارسة التعليم واعتبارها شهادة لازمة حتى يتسنى للطالب الظهور بمظهر الاستاذ الحاذق، وتكون كساتر حتى لا يمس في علمه ومعارفه، فمن بين الاجازات التي منحت نظماً القصيدة التي أجاز بها الرصاع أحد طلبتها وذلك بالمدرسة الشماعية[٧٦]، وبعد هذا التتويج بالإجازة يصبح الطالب شيخاً وهو لقب الأستاذ به، التي تجعله في مصاف الفقهاء والأدباء، له مكانته في مشيخته[٧٧].

رابعاً – مناهج التعليم وطرق التدريس في المدرسة الشماعية:

كانت الحياة العلمية سواء بالمشرق أو بالمغرب تخضع لكل من لظروف السياسية، والتيارات المذهبية السائدة وحيوية وازدهار هذا المجال وتجدده، وذلك من خلال حركة العلماء بين المشرق والمغرب، إذ كان الجانب الديني يسيطر على عملية التعليم[٧٨].

كانت المواد التي تُدرَّس في المدرسة الشماعية هي: القرآن الكريم وعلومه، والحديث النبوي الشريف، والفقه والفروع والنحو والفرائض والحساب، فكانت الدروس في مجملها ستة عشر درساً[٧٩].

أما ما يتعلق بطرق التدريس فكان هناك طريقة النقل العتيقة المتمثلة في النقل الشفاهي إلى أن اندمجت أفريقيا من القرن العاشر للهجرة/ الخامس عشر للميلاد، في الطريقة القديمة وهي طريقة الالقاء[٨٠]، وقد كان ابن عرفة رائد في محاولة بعث تجديد حقيقي في طرق التدريس عند رجال التعليم كما يشير الى ذلك برنشفيك في كتابه[٨١]، كما جدد العالم المغربي عبد العزيز بن موسى العبدوسي هذه الطريقة بما أضفاه على التعليم من طريقة حيوية وحوار أثار إعجاب الدارسين، فعندما يشرح مدونة سحنون كان يستشهد كل مرة باراء المالكية التابعين لجميع الاقطار عصرا عصرا دون أن يغفل عن ذكر المختصين في العقود المحررة لدى العدول ولكن تلك

الدروس كانت موجهة الى عدد من المستمعين المطلعين والذين كانوا يجدون مع ذلك صعوبة لمتابعة مثل تلك العروض العلمية الرفيعة فقد كان يجلس على كرسي ويبدأ دروسه ببعض الأدعية المعروفة ثم يفسر ببساطة آية من الآيات القرآنية ويخلص بعد ذلك إلى الأحاديث النبوية التي يتوسع فيها ، وكان يظهر برعاته الفائقة في هذه المادة مشيرا بصوت جهوري وواضح إلى جميع التواريخ التقليدية وجميع الروايات القديمة المتعلقة بالموضوع المطروق وقد كان قادرا على الاستشهاد بدون انقطاع بعدد كبير من الأحاديث النبوية يمكن أن يبلغ المئتين قبل أن يرجع إلى تفسير الآية القرآنية المعنية بالأمر، ويبقى على هذه الحال يجدد ويبتكر في طرق تدريس مختلف المواد كالنحو وغيره إلى أن وافته المنية سنة (٨٣٧هـ/ ١٤٣٤م) فقد كانت برامج التعليم في هذه المدرسة وباقي المدارس لا تخلو من البلاغة والعروض والأدب[٨٢]، وتروي لنا كتب التاريخ التي اهتمت بالعهد الحفصي أن الدروس التي كانت تعطى في تلك الفترة يمكن ضبطها بدقة على النحو التالي: فقد كلف الشيخ محمد الرماح المدرس بالقيروان أحد تلامذته بإلقاء الدروس التالية على طلابه كل يوم في الصباح يدرس التفسير والحديث والفروع وفي الظهيرة والمساء النحو والفرائض والحساب.

فكانت تلك الدروس في مجملها ستة عشر دارسا وهذه طريقة الشيخ عبد الله الشبي في التدريس والإفتاء وعند عودته من صلاة الصبح يجد في بيته عدد كبير من الطلبة وهم يستمعون إلى زملائهم المجتهدين يتلون آيات من القرآن الكريم، وعندها يبدأ الشيخ في تفسير بعض آيات الذكر الحكيم مطنبا في الشرح والتعليق متخذا من سيرة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وسيرة الأولياء مستعينا في الاستشهاد (بكتاب صحيح مسلم) ثم تبدأ الحصة الثانية التي تستمر إلى أذان الظهر وتخصص لتلقيه بعض المبادئ الفقهية إلى حوالي خمسة عشر طالبا من الطلاب المبتدئين، تتلوها حصة مخصصة للطلبة الكبار الذين يبلغ عددهم نحو عشرة، ثم يصلي الظهر في بيته قبل أذان العصر بقليل وبعد ذلك يتولى تعليم تجويد القران إلى آذان المغرب وبعدها قد يزور إحدى الزوايا ولا يعود إلى بيته إلا بعد صلاة العشاء، وبعد فإن عدم وجود برامج مضبوطة فالتقاليد العلمية هي المسيطرة وهي التي يحتكم إليها العلماء وإن كان صلب موضوع الدراسة هذه الموضوعات (القران، الحديث، الفقه، النحو) وقد علق ابن خلدون على العملية التعليمية في أفريقيا بقوله: ((أما أهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها إلا أن عنايتهم بالقرآن واستنظار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءة أكثر مما سواه ... فطريقهم في تعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الاندلس))[٨٣].

المبحث الرابع: النظام الإداري للمدرسة

كان من الضروري وجود نظام إداري خاص بالمدرسة تخضع من خلاله لتنظيم محكم، يتعين فيه تسيير المدرسة لتحديد الوظائف بها وشروط القائمين عليها، كما يتم تعيين المدرسين في مناصبهم التعليمية، ويستند إلى النظام الإداري للمدرسة تحديد شروط التحاق الطلبة بها وكل ما يرتبط به من شروط الإقامة وغيرها

أولاً – موظفو المدرسة:

من الصعب ضبط عدد الموظفين في كل مدرسة ومعرفة مهام كل واحد منهم فالإشارات التي أشارت إليهم المصادر نادرة، فكان يوجد موظفين في المدرسة الشماعية، ومما يوضح ذلك نص ابن براء الذي أخذ يسال عن أحباس هذه المدرسة وأنقابها ((فقيل له فيها الإمام، فقال كلهم عدول من حضر يؤم، قيل له فيها الوقاد، فقال: لا حاجة إليه، من أتى يشعل الفتيلة والقنديل، وقيل له فيها النقيب، فقال إنما كانت النقباء من بني إسرائيل، هذا كله إسراف))[٨٤]، ويفهم من النص السابق أن هناك بعض الوظائف التي كانت مهمتها إدارية في المدرسة ومنها إمام الصلاة، والوقاد وتتلخص مهنته في إيقاد قناديل المدرسة وإدامتها، والنقيب والذي لم يفهم مهنته على وجه الدقة.

ثانياً – طرق تعين المدرسين:

تعد المدرسة مؤسسة رسمية تبعية نظامها الإداري لأجهزة الدولة ومؤسساتها، يخضع لرقابة السلطة وديمومة الإشراف عليها، فكانت الإجراءات الإدارية الخاصة بتعيين المدرسين تتم تحت عناية السلطان، ولقد كشفت لنا علاقة السلطان بالفقيه المدرس عن الطرق التي كانت تتخذها السلطة في منح المناصب للمدرسين فكان شيوخ المدرسة السماعية يختارون من بين كبار العلماء والمدرسين ولم يكن للمدارس الأخرى نفس المستوى الذي كانت عليه، لذا فقد تنافس الشيوخ والعلماء على نيل منصب التدريس بالسماعية نظرا لأهميتها العلمية والعملية التي تدر على شيوخها الشرف الذي يلحق بهم جراء التدريس بها[٨٥].

فجاءت طرق تنصيب العلماء مختلفة وهي كالتالي:

١ – تعيين المدرس قبل وبعد إنشاء المدرسة: إن أغلب شيوخ مدرسة الشماعية درسوا قبل التدريس فيها أو بعده في آن واحد بمدرسة أو أكثر، وهذه حسب مشيئة صاحب السلطة[٨٦].

٢ – توريث منصب التدريس: لم توضح المصادر التي حددتها السلطة لاشتغال الفقيه بالمدرسة، فغالباً ما كان يتابع وظيفته التعليمية إلى حين وفاته أمثال الشيخ ابن زيتون، وفي بعض الحالات ارتأت السلطة أنه من الضروري توريث المنصب التعليمي، فقد توارثت أسرة البارودي التدريس

بالشـماعية من خلال الشـيخ حسـن البارودي ثم ولده الشـيخ محمد البارودي، ثم حفيده الشـيخ مصطفى البارودي الذي خلف والده بجميع وظائفه ومنها مشيخة المدرسة الشماعية(٨٧).

ثالثاً – شروط الإقامة بالمدرسة:

لقد حددت سن الطالب الذي يسمح له فيها بالإقامة بعشرين سنة فما فوق، كما حددت المدة القصـوى التي يسـمح له فيها بالإقامة وهي عشـر سـنوات، أي حين يبلغ الطالب سـن الثلاثين(٨٨)، وإذا لم يظهر الطالب نجابته خلال هذه المدة ولم يبد كفاية وقدرة التحصـيل يطرد من المدرسة، بينما حدد ابن خلدون المدة بخمس سنوات في تونس وستة عشر في المغرب(٨٩).

رابعاً – المكتبة:

تعد المكتبات من المؤسسات العلمية المكملة للوظيفة التعليمية التي اعتنى بها المسلمون حيث كان لها دور في العالم الاسـلامي مع نشـأة المسـاجد حيث أصـبح المسـجد مكتبة عامة احتوت على مختلف الكتب الدينية والعلمية والادبية ، ثم انتشـرت في المدارس والزوايا ودور العلم، لتكون مرجعا للطلبة والعلماء والنساخ، وكانت للمدرسة الشماعية مكتبتها الخاصة بها التي أوقفها الأمير أبو زكريا وزودها بالكتب النفيسة في كل فن من فنون العلم(٩٠)، وقد ضمت المكتبة ما لا يقل عن ٣٦٠٠ كتاب كان جلها ما أوقفه الأمير أبو زكريا، فضـلاً عما أوقفه الآخرون بعدئذ سواء من الملوك والأمراء الحفصين أو من العلماء والأدباء طلباً للثواب(٩١).

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذه الدراسة تم التوصل إلى جملة من النتائج التي يمكن إيرادها كما يلي:

- ظلَّ المغرب الإسـلامي يعتمد على النظام التقليدي في التعليم متخذاً من المسـاجد مركزاً رئيساً للعلم والتعليم حتى منتصف القرن السابع للهجرة/ الثالث عشر للميلاد.
- كانت المدرسـة الشـماعية أولى المدارس العلمية التي أنشـأت في أفريقيا وتطبق فيها النظام التعليمي المؤسساتي والذي انتقل إليها من المشرق الإسلامي.
- أولى الحكام الحفصـيون عناية واضـحة بمجال التعليم، فخصـصـوا الأوقاف في سبيل إيجاد مورد دائم لتمويل العملية التعليمية في أفريقية.
- ظلَّت المدرسـة الشـماعية تؤدي دورها كمؤسسـة علمية حتى بعد نهاية الدولة الحفصـية، فقد ظلت قائمة تعتمد على النظام التعليمي التقليدي حتى بداية القرن العشرين للميلاد.
- اتسمت عمارة المدرسة بخلوها من الريازة والأبهة والفخامة التي غالباً ما كانت تزين المدارس في العراق وبلاد الشام ومصر، إلا أن الشماعية ظهرت بشكل مغاير ربما يعود السبب في ذلك إلى شخصية السلطان أبي زكريا الذي اشتهر بالتقشف والبساطة.

- من أبرز ما قدمته المدرسة لطلابها إيجاد المأوى لهم، لا سيما لمن يأتي إليها من خارج تونس، فكانت تقدم لهم المبيت والمأكل والمشرب، فضلاً عما يحتاجونه من كسوة وراتب شهري.
- تنافس علماء تونس والمغرب على نيل شرف التدريس في المدرسة، فكان أمر التعيين يصدر بشكل رسمي من قبل السلطة الحاكمة التي غالباً ما كانت تتحرى عن أبرز وأشهر علماء عصرهم.

الهوامش والمصادر:

(١) ابن منظور، محمد بن كرم بن علي (ت، ٧١١هـ/ ١٣١١م) لسان العرب، الدار المصرية (القاهرة، د. ت) ج٦، ص٧٩-٨٠.

(٢) ابن مامي، محمد الباجي، مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن السابع إلى القرن الثالث عشر الهجري، المعهد الوطني للتراث (تونس، ٢٠٠٦م) ص٣٧.

(٣) عبد العزيز لعرج، المدارس الاسلامية دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها- القسم الاول – مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، العدد الأول، ٢٠٠١م، ص١١٢؛ رحيم، عائشة، المؤسسات العلمية في العهد الحفصي، أطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ٢٠١٨م) ص١٠٢.

(٤) أحمد فكري، مساجد القاهرة ومدارسها، دار المعارف (القاهرة، د. ت) ج٢، ص١٠٩-١٢١.

(٥) ديب، صفية، تعليم المرأة واسهاماتها الفكرية في المغرب الإسلامي في العصرين ألموحدي والحفصي، مجلة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف (الجزائر، ٢٠٠٩م) مج (٤)، عدد٣، ص١٨٦.

(٦) الدولة الحفصية (٦٢٥- ٩٨١هـ/ ١٢٢٧- ١٥٧٤م): أختلف الآراء في تحديد نسبهم ما بين حفصة بنت عمر بن الخطاب (رض)، وأبي حفص عمر الهنتاني الذي ينتمي إلى قبيلة مصمودة البربرية، الذي كان أحد أتباع ابن تومرت (مؤسس دولة الموحدين). ينظر: العسيري، أحمد معمور، موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام، مكتبة الملك فهد الوطنية (الرياض، ١٩٩٦م) ص٣٠٦.

(٧) أبو زكريا الحفصي: (٥٩٨-٦٤٧هـ/ ١٢٠١- ١٢٤٩م) السلطان محي بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاني. ينظر: الزركلي، الأعلام، دار العلم للملاين، ط١٥ (بيروت، ٢٠٠٢م) ج٨، ص١٥٥.

(٨) ابن أبي دينار، أبو عبد الله محمد العيني (١١٠١هـ/ ١٦٩٠م) المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، المكتبة العتيقة ، ط٢ (تونس، ١٩٦٧م) ص١١٩؛ الزركشي، ابو عبدالله محمد بن إبراهيم (ت،) تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق، محمد ماظور، المكتبة العتيقة، ط٢ (تونس، ١٩٦٦م) ص٣٣؛ بو شفيق، محمد، تطور العلوم ببلاد المغرب الاوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين بين (١٤-١٥ م) اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة أبي بكر بلقايد، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، تلمسان، ٢٠١١م) ص٥٤؛ عزيز، سناء خدا كرم، المناهج التعليمي في بلاد المغرب، ص٢٨٧.

(٩) ابن خوجة، محمد بن البشير بن محمد (ت، ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٢م) تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد، تحقيق، الجيلاني بن الحاج يحيى، حماد الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط٢ (بيروت، ١٩٨٥م) ص٢٨٠؛ رحماني، عائشة، الحركة العلمية في الدولة الحفصية (٦٢٥- ٩٨١هـ/ ١٢٢٧- ١٥٧٤م) رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٧م) ص٤٩.

(١٠) البرزلي، أبو القاسم بن أحمد البلوي (ت، ٨٤١هـ/ ١٤٣٨م) جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق، محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ٢٠٠٤م) ج٣، ص ٥٧٦؛ السنوسي، محمد بن عثمان بن محمد (ت، ١٣١٨هـ/ ١٣١٨م) مسامرات الظريف بحسن التعريف، تحقيق، محمد الشاذلي (تونس، ١٩٨٣م) ج١، ص٢١٦؛ القاضي، وداد، المدرسة في المغرب في ضوء كتاب المعيار للوفشريسي، مؤتمر التربية الإسلامية الفكر التربوي الإسلامي، الكتاب الثاني، دار المقاصد الإسلامية (بيروت، ١٩٨١م) ص١٣٣.

(١١) ابن الشماع، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت، ٨٥٠هـ/ ١٤٤٨م) الأدلة البينية النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق، محمد الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب (تونس، ١٩٨٨م) ص٥٦، مقدمة المحقق؛ المعموري، محمد الطاهر، جامع الزيتونة ومدارس تونس في العهدين الحفصي والتركي، دار العربية للكتاب (تونس، د. ت) ص٨١.

(١٢) قيس، حسين علي، العمارة الحفصية في المغرب الأدنى المدرسة الشماعية أنموذجاً، مجلة دراسات في آثار الوطن العربي، مج (٢٠)، عدد (٢٠)، ص٨٦٨.

(١٣) تاريخ أفريقية في العهد الحفصي، ص٢٧٣.

(١٤) أفريقية: اسم لبلاد واسعة ومملكة كبيرة، ينتهي آخرها إلى قبالة جزيرة الأندلس، ويقال أنها سميت إفريقية بإفريقيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب ابن قحطان وهو الذي اختطها، وفي رواية أخرى لأنها فرقت بين مصر والمغرب فسميت إفريقية، وحدودها طولاً من برقة شرقاً إلى طنجة الخضراء غرباً، وعرضها من البحر إلى الرمال التي في أول بلاد السودان، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة. ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٢٢٩.

(١٥) ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص٢٨٦.

(١٦) ابن مامي، مدارس مدينة تونس، ص٤١.

(١٧) روبار برنشفيك، تاريخ أفريقية في العهد الحفصي من القرن ١٣ إلى نهاية القرن ١٥ميلادي، ترجمة، حمداي الساحلي، دار الغرب الاسلامي (بيروت، ١٩٨٨م) ج٢، ص٣٠٥.

(١٨) رحماني، الحركة العلمية في الدولة الحفصية، ص٥٣.

(١٩) صفية ديب، تعليم المرأة وإسهاماتها الفكرية في المغرب الإسلامي في العصرين الموحدي والحفصي، حملة رسالة المسجد، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف (الجزائر، ٢٠٠٩م) مج (٤)، عدد (٣)، ص١٨٥.

(٢٠) رحيم، المؤسسات العلمية في العهد الحفصي، ص١٠٧.

(٢١) جامع الزيتونة: من أقدم معاهد العلم بأفريقية والعالم الاسلامي، اتفق المؤرخون على انه كان بالموضع الذي بني فيه الجامع شجرة زيتون، وهي التي ينسب إليها الجامع، بناه حسان بن النعمان الغساني والي أفريقية سنة (٧٩هـ/ ٦٩٨م)، ثم أعاد ترميمه عبيد الله بن الحبحاب سنة (١١٤هـ/ ٧٥٢م)، أدخل عليه الأغالبة بعض التحسينات سنة (٢٢٤هـ/٨٤٠ م)، وفي عصر الدولة الحفصية كان مركزاً فكرياً مهماً في تونس فعمر بالمجالس العلمية التي كان يترنم فيها بقراءة القرآن الكريم وتلاوة الحديث الشريف. ينظر: ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص٥٣، ص١١٤؛ حسن، حسني عبد الوهاب، خلاصة تاريخ تونس، دار الكتب العربية الشرقية، ط٣ (تونس، ١٩١٣م) ص٨٤؛ بن عاشور، محمد الفاضل، أعلام الفكر الإسلامي في تاريخ المغرب العربي، مكتبة النجاح (تونس، د. ت) ج٢ ص٢٤٨.

(٢٢) سوق العطارين: أحد اسواق تونس بناه الأمير أبو زكريا يحيى الحفصي. ينظر: ابن خوجة، معالم التوحيد، ص٢٨٥.

(٢٣) ابن ابي دينار، المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ص١٣٤؛ ابن مامي، مدارس تونس، ص١٣٣؛ أبو عامر، مريم، الهجرة الأندلسية للمغرب الأدنى ودورها في الإزدهار الحضاري ما بين (٧ هـ/ ٩هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة أبي بكر بلقايد، شعبة تاريخ المغرب الإسلامي، تلمسان، ٢٠١٠م) ص٨٢.

(٢٤) أروقة: جمع مفرده رواق، هو الفضاء المحصور بين صفين من الأعمدة، أو صف من الأعمدة وجدار بشرط

أن تكون موازية لجدار القبلة أو ممتدة من الشمال إلى الجنوب. ينظر: رزق، معجم مصطلحات العمارة، ص١٢٥.

(٢٥) إيوان: وهو الصفة المرتفعة من مستوى الأرض تحيط بها ثلاثة جدران، وهو على هيئة قاعة مفبية ذات مقدمة مفتوحة على بهو أو فناء بواسطة عقد. ينظر: رزق، عصام محمد، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي (القاهرة، ٢٠٠٠م) ص٢١.

(٢٦) قيس، العمارة الحفصية في المغرب الأدنى، ص٨٥٨.

(٢٧) سوق البلاغجية: أي سوق بائعي البلغة وهي نوع من النعال العتيقة وهو سوق يقع بمدينة تونس العتيقة، بني في عهد الحفصيين، وكان يسمى في عهدهم سوق الشماعين أي سوق بائعي الشمع. ينظر: قيس، العمارة الحفصية في المغرب الادنى، ص٨٦٩ .

(٢٨) ابن مامي، مدارس تونس، ص١٤٢.

(٢٩) علي ثويني، معجم عمارة الشعوب، ص١٣١.

(٣٠) دعامات: جمع مفرده دعامة، وهي المساند والأكتاف، المربعة والمستطيلة والدائرية أو نصف الدائرية، التي تستند عليها سقوف العمائر المختلفة بشكل مباشر أو غير مباشر. ينظر: رزق، معجم مصطلحات العمارة، ص١٠٨.

(٣١) ابن مامي، مدارس تونس، ص١٥٠.

(٣٢) قيس، العمارة الحفصية في المغرب الأدنى، ص٨٧٥.

(٣٣) ابن مامي، مدارس تونس، ص١٥٢.

(٣٤) ابن الشماع، الأدلة البينية، ص٥٢؛ ابن خوجة، معالم التوحيد، ص٢٨٥؛ الباجي، محمد، التعليم بجامع الزيتونة وبمدارس العلم في العهد الحفصي، مجلة التاريخ العربي، عدد (١٧)، ٢٠٠١م، ص١٤٤-١٤٥.

(٣٥) القابسي، نجاح، المعاهد والمؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، مجلة المؤرخ العربي، عدد١٩، ص١٨٩.

(٣٦) بو شفيق، تطور العلوم ببلاد المغرب الأوسط، ص٥٥؛ عبد الله، حارث علي، التعليم في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتاب الفتاوي (فتاوي ابن رشد والبرزلي أنموذجاً) مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد (٩)، عدد (٤)، ٢٠١٩م، ص١٨٥.

(٣٧) الضيحان، عبد الرحمن بن إبراهيم، الأوقاف الإسلامية ودورها الحضاري، ص٩٣؛ أمين محمد، الأوقاف ونظام التعليم في العصور الوسطى الإسلامية، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بغداد، ١٩٨٣م) ص١٥٣.

(٣٨) الضيحان، الأوقاف الإسلامية، ص٣٨٩.

(٣٩) ابن البراء: أبو قاسم التنوخي (ت، ٧٣٧هـ/ ١٣٣٧م) تولى الإمامة والخطابة بجامع الزيتونة. ينظر: ابن مامي، مدارس تونس، ص١٣٦.

(٤٠) ابن مامي، مدارس تونس، ص١٣٦؛ ابن الشماع، الادلة النورانية، ص٧.

(٤١) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٧٠؛ السنوسي، مسامرات الظريف، ج٣، ص٥٢؛ محمد العروسي الطوي، السلطنة الحفصية تاريخها ودورها في المغرب الإسلامي (بيروت، ١٩٨٦م) ص١٢٧.

(٤٢) ابن مامي، مدارس تونس، ص١٣٦.

(٤٣) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٤٤؛ الكواش، صالح بن حسين (ت، ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م) تاريخ تونس، مخطوطة

بالمكتبة الوطنية بتونس رقم ٠٣٣٣٨، ص١٩.

(٤٤) جامع القصبة: يقع هذا الجامع في القسم الجنوبي من القصبة التي تقع وسط الجانب الغربي من مدينة تونس، شيده الأمير الحفصي أبو زكريا يحيى، ويسمى بجامع الموحدين، انتهى بنائه سنة (٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) وتفنن في بناء صومعته فجاء أجمل وأضخم وأبهى جوامع تونس، وكان الجامع من الأماكن العلمية والمؤسسات الثقافية التي كانت يشرف عليها السلطان بنفسه. ينظر: ابن خوجة، معالم التوحيد، ص١٥٧، ص١٦١؛ ابن الشماع، الأدلة البينية، ص٤٥؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٩٦؛ برنشفيك، تاريخ أفريقية، ج٢، ص٣٧٣.

(٤٥) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٦٢؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص١٤٢؛ ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي (ت، ٧٩٩هـ/ ١٣٩٧م) الديباج المذهب في اعيان علماء المذهب، تحقيق، أبو النور محمد الاحمدي، مكتبة اللبناني، ط٢ (بيروت، ١٩٩١م) ص١٤٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٦، ص٤٠٨ .

(٤٦) الشوكاني، محمد بن علي (ت، ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م) البدر الطالع بمحاسن القرن السابع، مطبعة السعادة (القاهرة، ١٩٢٩م) ج٢، ص٢٥٥؛ العامري، محمد الهادي، تاريخ المغرب العربي في سبعة قرون بين الازدهار والذبول من القرن التاسع الهجري إلى ختام القرن الثالث عشر، الشركة التونسية للنشر والتوزيع (تونس، د. ت) ص١٦١.

(٤٧) السخاوي، الضوء اللامع، ج٦، ص١٥١؛ ابن خوجة، معالم التوحيد، ص٥٨؛ نوهيض، عادل، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض للثقافة والتأليف (بيروت، ١٩٨٠م) ص٢٤٩- ٢٥٠.

(٤٨) الشوكاني، البدر الطالع، ج٢، ص١٦٩؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط١٥ (بيروت، ٢٠٠٢م) ج٦، ص١١٥.

(٤٩) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٠١.

(٥٠) ابن خوجة، معالم التوحيد، ص٥٩؛ نويهض، معجم اعلام الجزائر، ص٢٦٤.

(٥١) جامع التوفيق: أحد جوامع تونس، بنته الأميرة عطف زوجة أبي زكريا وأم الخليفة المستنصر سنة (٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م) في عهد ابنها هذا بعد ان جاءته البيعة بالخلافة من مكة. ينظر: ابن خوجة، معالم التوحيد، ص١٢١؛ عبد الوهاب، حسن حسني، شهيرات التونسيات بحث تاريخي أدبي في حياة النساء النوابغ بالقطر التونسي من الفتح الاسلامي الى الزمان الحاضر، مكتبة المنار، ط٢ (تونس، ١٩٦٦م) ص١٠٦؛ السنوسي، مسامرات الظريف، ج١، ص٦٠، ٢٦١؛ الطويلي، أحمد، مراكز الثقافة والتعليم بمدينة تونس في العهد الحفصي، الجوامع والمدارس والمكتبات (تونس، ٢٠٠٠م) ص٢٤-٢٥.

(٥٢) المدرسة المنتصرية: أسسها الأمير أبو عبد الله محمد المنتصر بالله الحفصي ومات قبل اتمامها، فأتمها أخوه السلطان أبو عمرو عثمان سنة (٨٤١هـ/ ١٤٣٨م) ووقف عليها أوقافاً واسعة. ينظر: ابن خوجة، معالم التوحيد، ص٢٩٥؛ الدولابي، عبد العزيز، مدينة تونس في العهد الحفصي، دار سرار للنشر (تونس، ١٩٦١م) ص١٩٨.

(٥٣) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٣٥.

(٥٤) السنوسي، مسامرات الظريف، ج١، ص٢١٥، ج٣، ص٥٨.

(٥٥) السخاوي، الضوء اللامع، ج٨، ص٢٨٧؛ نوهيض، معجم أعلام الجزائر، ص١٥٠-١٥١.

(٥٦) قيس، العمارة الحفصية، ص٨٦٩.

(٥٧) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٣٥؛ السنوسي، مسامرات الظريف، ج١، ص٢١٥، ج٣، ص٥٨.

(٥٨) ابن الشماع، الأدلة البينية النورانية، ص٧.

(٥٩) المدرسة العنقية: اسمها مشتق من اسم الزقاق الواقعة فيه، وهو نهج عنق الجمل، اسست هذه المدرسة الأميرة فاطمه أخت أبي يحيى بن أبي زكريا، أطلق عليها اسم مدرسة الجمل أو المدرسة العنقية، وقد انتهى بناؤها سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٢م) وطلبت الأميرة فاطمه من أخيها أن يختار القاضي محمد بن عبد السلام ليكون مدرساً ومديراً لشؤون المدرسة، فاسعفها وكان لها ما طلبت، وقد سكتت المصادر التاريخية عن ذكر المدرسة، وربما لأنها غير معروفة مثل غيرها من المدارس كالشماعية والتوفيقية، واللتان كانتا من المدارس الأولى في عهد الدولة الحفصية، وكانت لهما عناية خاصة من قبل المؤرخين. ينظر: ابن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص٢٩٤؛ برنشفيك، تاريخ افريقية، ج١، ص٣٦٢؛ السعيد بحري، الشعر في الدولة الحفصية، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة منتوري، قسنطينة، ٢٠٠٧م) ص٣٥.

(٦٠) الأميرة فاطمة: بنت الأمير أبي زكريا الحفصي وأخت أبي يحيى، قامت بتأسيس المدرسة العنقية والتي تم الانتهاء من بنائها سنة (٧٤٢هـ/ ١٣٤٢م). ينظر: ابن خوجه، تاريخ معالم التوحيد، ص٢٩٤؛ رحماني، الحركة العلمية في الدولة الحفصية، ص٦٢.

(٦١) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٤٤.

(٦٢) مدرسة ابن تافراجين: وسميت بهذا الاسم نسبة الى مؤسسها أبو محمد عبد الله ابن تافراجين (ت، ٧٦٦هـ/ ١٣٦٤م) كان من ذوي الجاه والنفوذ في عصر الدولة الحفصية، تولى الحجابة للسلطان أبي بكر بن أبي زكريا الحفصي سنة (٧٤٤هـ/ ١٣٤٤م) ثم ولي الوزارة لابنه أبي اسحاق إبراهيم سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥١م). ينظر: أبو مصطفى، كمال، جوانب حضارية من نوازل الونشريسي، شباب الجامعة (الاسكندرية، ١٩٧٩م) ص١٢١؛ سويسي، محمد، انماط العمران البشري بافريقية وجزيرة المغرب حتى العهد الحفصي، المركز الجامعي (تونس، ٢٠٠١ م) ص١٣٦.

(٦٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٥٤٨؛ الزركشي، تاريخ الدولتين، ص١٠١.

(٦٤) السنوسي، مسامرات الظريف، ج٣، ص٥٧.

(٦٥) الدولابي، مدينة تونس، ص١٣٩.

(٦٦) البلوي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المديني البلوي، وقبيلة بلي فرع من قضاعة ينتهي نسبها الى قحطان. ينظر: كرد، محمد علي، كنوز الأجداد، جسرين غوطة (دمشق، ١٩٥٠م) ص١٧١.

(٦٧) الدباغ، معالم الايمان، ج٤، ص١٤٤-١٤٦.

(٦٨) رحيم، المؤسسات العلمية، ص١٠٣.

(٦٩) محمد بن خوجة، تاريخ معالم التوحيد، ص١٨٧.

(٧٠) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٥١.

(٧١) حسن الوزان (ت، ٩٥٦هـ/ ١٥٤٩م) وصف أفريقيا، ترجمة، حجي محمد، الأخضر محمد، دار الغرب الإسلامي، ط٢ (بيروت، ١٩٨٩م) ج١، ص١٧٩.

(٧٢) الابي، أبو عبد الله محمد بن خلفة (ت، ٨٢٧هـ/ ١٤٢٤م) اكمال الاكمال المعلم، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت) ج٤، ص٤٨٣.

(٧٣) الزركشي، تاريخ الدولتين، ص٥١.

(٧٤) محمد الشريف سيدي موسى، التربية والتعليم بالجزائر في العصر الوسيط بجاية (نموذجاً) حولية المؤرخ، العدد ٠٢، (الجزائر، ٢٠٠٢م) ص٩٤.

(٧٥) الرصاع، الادلة البينية، ص١٥١.

(٧٦) الرصاع، الادلة البينية، ص٢١٨.

(٧٧) عبد العزيز فيلالي، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، دار الوعي (الجزائر، ٢٠١١م) ج٢، ص٣٥٧.

(٧٨) محمد لحلو، القضاء بأفريقية في العهد الحفصي، المعهد العالي للعلوم الانسانية (تونس، ٢٠١٣م) ص١٨٥.

(٧٩) بحري، السعيد، الشعر في ظل الدولة الحفصية، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب واللغات، الجزائر، ٢٠٠٧م) ص٤٥؛ أحمد خالد جيدة، المدارس ونظام التعليم في بلاد الشام في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠ -١٥١٧م) مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك (بيروت، ٢٠٠١م) ص٥٧؛ لكحل، نبيلة، خلايفية، وفاء، المماليك وعلاقاتهم بالسلطنة الحفصية خلال القرنيين (٧-٩هـ/ ١٣-١٥م) رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة ٨ ماي ١٩٤٥، قالمة كلية العلوم الاسلامية والاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٨م) ص١٧٩.

(٨٠) بحري، الشعر في ظل الدولة الحفصية، ص٤٤.

(٨١) تاريخ أفرقية في العهد الحفصي، ج٢، ص٣٧٩.

(٨٢) بحري، الشعر في ظل الدولة الحفصية، ص٤٤- ٤٥، ٤٧.

(٨٣) مقدمة ابن خلدون، المكتبة التجارية الكبرى (القاهرة، د.ت) ص٥٣٨-٥٤٠.

(٨٤) ابن عرفة، محمد بن محمد (ت، ٨٠٣هـ/١٤٠٠م) التفسير، مخطوط، دار الكتب الوطنية بتونس، رقم ١٠١١٠، ص١١٦.

(٨٥) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت، ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر (بيروت،٢٠٠٠م) ج٦، ص٥٩٦.

(٨٦) ابن مامي، مدارس تونس، ص١٣٦.

(٨٧) السنوسي، مسامرات الظريف، ج٢، ص٤٠- ٤١، ٦٢.

(٨٨) صمايري، هشام، العلماء بأفريقية منذ اواسط القرن الثامن الى نهاية القرن التاسع الهجري (٧٤٨-٨٩٧هـ/ ١٣٤٧-١٤٩٢م) اطروحة دكتوراه غير منشورة (جامعة تونس، ٢٠١٧م) ص١٧٨.

(٨٩) ابن خلدون، المقدمة، ص٥٤٥.

(٩٠) بحري، الشعر في ظل الدولة الحفصية، ص٤٩؛ رحيم، المؤسسات التعليمية في مدينة بجاية خلال القرن ٧-١٠هـ، مجلة الفنون، مجلد (١١)، عدد (٢)، أيلول، ٢٠١٩م، ص٦٤.

(٩١) الطويلي، أحمد، فجر الحضارة العربية التونسية ، دار المعارف (تونس ، د.ت) ص١٠.